العمل الخيرى

تكافل اجتماعى وعطاء إنسانى

إعــداد

الأستاذ الدكتور: عبد الملك منصور

رئيس مؤسسة المنصور الثقافية

للحوار بين الحضارات

بحثٌ مقدَّمٌ إلى

« مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث »

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

يعتبر العمل الخيري في ذاته واحدا من أهم ثمار الإيمان، فضلا عن أن العمل الخيري يضمن للمسلم ما يوثق به العرى بين سبل النجاح في الدنيا والآخرة أيضا.

وإذا كان العمل الخيري قد لازم الإنسان منذ أن دب على الأرض وسعى وشقي واستغنى، فإن صوره وأهدافه وأشكاله ومقاصده وغاياته قد تطورت تطورا بارزا يواكب متطلبات المحتاجين، وعوز البائسين، وافتقار الضعفاء والمساكين.

ولئن كان العمل الخيري يمثل في ذاته صورة للتكافل الاجتماعي بين شرائح المجتمع، وعطاء إنسانيا يبذله القادرون عليه، فإن العمل الخيري قد صار في عالم اليوم رافدا من روافد التنمية البشرية، وطاقة خلاقة يبذلها الفضلاء والأكارم في إنكار للذات وحرص على أن يكون البذل خالصا لوجه الله واحتسابا لثوابه ، ورجاء لمثوبته ورضوانه ومن ثم أصبح العمل الخيري في مجتمعنا المعاصر سمة حضارية بارزة للمجتمعات التي تحرص على التكافل الاجتماعي بين أفرادها وعلى دعم العطاء الإنساني للمحتاجين إليه.

إن تنظيم المؤتمر الثالث للعمل الخليجي الخيري يعتبر في حد ذاته، منعطفا حضاريا يعبر عن مضمون إنساني ورؤية موضوعية لمقتضيات العمل الخيري في عصر العولمة وما يثيره من تحديات لأمتنا الإسلامية، في التوفيق بين الضوابط الشرعية للعمل الخيري باعتباره انعكاسا للإيمان الراسخ في قلوب المؤمنين وبين متطلبات الواقع الميداني في ساحة العمل الخيري.

إن التطلع إلى آفاق رحبة من التعاون بين العناصر الفاعلة في مجالات العمل الخيري على مستوى الأمة بأسرها هو تعاون يستهدف تكريس الطاقات وتوكيد الرؤى وتوفير الإمكانات وتحقيق المقاصد الإنسانية النبيلة، والتغلب على المعوقات وإثراء التجارب الميدانية وتحصينها،

وشـد أزرها والتطلع بثقة واقتدار لاسـتشراف آفاق مترامية لدور العمل الخيري في مجتمع أمتنا الإسلامية المعاصرة .

حسـب هذا البحث أن يجيب على بعض الأسـئلة المشروعة التى تتعلق بالعمل الخيرى من حيث :

أولاً: تحديث مجالات العمل الخيري.

ثانيـاً: وضع آليات العمل الخيرى في المجتمع.

ثالثـاً : الإعلام ودوره في إطلاق طاقات العمل الخيرى.

رابعـاً: المرأة و العمل الخيرى – الواقع والمتطلبات.

خامساً: دور العمل الخيري في حشد طاقات التكافل الاجتماعي والعطاء الإنساني.

وقبل أن نشرع في الإجابة عن هذه الأسئلة هناك إضاءة لابد منها، وهى:

العمل الخيري بين الماضي والحاضر

يجتاح عالمنا المعاصر تيارات فكرية هادرة، وتطورات مذهلة، وإنجازات علمية غير مسبوقة وصراعات أو حوارات حضارية متشابكة، ومجتمعنا العربي والإسلامي لا يستطيع أن ينأى عن كل هذه الأوضاع العالمية المؤثرة أو أن ينعزل بذاته عن التأثر والتأثير في خضم هذه الرؤى الملتبسة والقائمة ..

والعمل الخيري باعتباره نشاطا إنسانيا خالصا .. ويصدر عن إيمان الفرد بانتمائه لأسرة صغيرة لها متطلباتها الإنسانية التي تفرضها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بحيث يكون العمل الخيري في ذاته صورة للإيمان، وترجمة عن مشاعر الإنسان المؤمن ومدى إحساسه بمسئوليته تجاه غيره من المسلمين خاصة المحتاجين ..

العمل الخيري بهذا المفهوم الإيماني يمثل تجسيدا للفهم الصحيح لروح الإيمان التى تعبر عنها آيات عديدة من آيات القرآن الكريم منها مثلا بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ (النساء ١١٤) .

ويؤكد القرآن الكريم في موضع آخر على أهمية العمل الخيرى إذ يرى أن من لا يقوم به في أى شكل من أشكاله بمثابة المكذب بالدين: يقول تعالى :﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ (الماعون : ١-٢)

وإذا كان عمل الخير يقوم في غالبه على المال وكان المال زينة الحياة الدنيا ، وعصب الحياة وقوام معيشة الخلق ، وبه يستمد الكثيرون مكانتهم في المجتمع ويباح للمسلم أن يدعو ربه بأن يرزقه الغنى ويستعيذه من الفقر .

إلا أن الإسلام مع هذا كله جعل إنفاقه في الخير ، ومساعدة المحتاجين إليه ، وعدم البخل

به ، وعدم اكتنازه ، جعل ذلك من الواجبات الإسـلامية الحتمية على كل مسـلم يعاقب المسـلم بعذاب أليم إذا اقترف شيئا منها .

يقول تعالى في (سورة التغابن آية ١٥): باسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾..

وفي سـورة (التوبـة الآيتـان ٣٥،٣٤) يقول تعـالى : باسـم الله الرحمن الرحيـم ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ ..

وفي سـورة (آل عمـران الآية ١٨٠) يقول ربى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيـنَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِـنْ فَضْلِهِ هُـوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَـرٌّ لَهُمْ سَـيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِـهِ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ ..

ونكتفـي بهـذا القدر من الآيات الكريمات التى تحض على إنفـاق المال الذى هو زينة الحياة الدنيا في وجوه الخير ومرضاة الله ..

وإذا التفتنـا إلى الأحاديـث النبويـة الشريفة رأينا فيضـا من الأحاديث والمواقـف العملية للرسـول الكريم ﷺ وصحابته الأخيار يجسدون معنى العمل الخيرى وأهميته في تجسيد الإيمان الصحيح للمسلم.

يقـول نبينـا الكريم ﷺ في حديثه الصحيح : « أحب النـاس إلى الله أنفعهم للناس » (رواه مسلم) .

ويقـول نبينـا الكريم أيضاً (صحيح البخارى كتاب الزكاة ١٤٤٢ وصحيح مسـلم كتاب الـزكاة بـاب في المنفق ١٠١٠) : « ما من يوم يصبـح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا »..

وفي (صحيح البخاري - كتاب النفقات ٥/ ٢٠٤٧، فتح البارى ٩/ ٢٠٤٧ ط٢ ١٤٠٩هـ -١٩٨٨) ما رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله: أنفق يا بن آدم أنفق عليك .. والخطاب هنا موجه إلى كل بنى آدم وفيه إطلاق للإنفاق في كل وجوه الخير .

ويقول الرسول الكريم ﷺ في موضع آخر : « لأن يمشى أحدكم مع أخيه لقضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدى هذا سبعين يوماً »، ويقول أيضاً: «ابغونى في ضعفائكم» .

وهناك نقطة يجب الإشارة إليها في مجال دعوة الإسلام إلى الإنفاق في وجوه الخير وحثه عليه ، فالإنفاق في الإسلام له ضوابط تتحقق بها مصلحة الفرد والمجتمع .. هذه الضوابط هى الاعتدال والتوسط بين الإسراف والتقتير .. يقول تعالى في سورة الفرقان آية ٦٧ : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ ..

قال الرازى (الأعلام ٧/ ٢٠٣) الإسراف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وإن كان من حلال (التفسير الكبير ٢٤/ ١٠٩) .

والرسول الكريم (كما روى البخارى في صحيحه ٥/ ٢١٨١ كتاب اللباس) يقول: (كلوا واشربوا وألبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة)..

ويستفاد من هذا الحديث أهمية ضبط الإنفاق حتى في عمل الخير .. فالتصدق كما في الحديث يكون في (غير إسراف) أو (بخل وتقتير) بل في اعتدال وتوسط .. يؤكد هذا قول الحق سبحانه وتعالى في (سورة الأنعام آية ١٤١): ﴿ **وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ .. فالإسراف منهى عنه حتى حين يخرج المسلم حق الفقراء يوم الحصاد..

• ولعل من المهم في هذا المقام أنه في الوقت الذى يخاطب فيه الإسلام أتباعه بالبذل والسخاء ، يحذرهم بل ويكاد ينهاهم نهى تحريم عن قبول الصدقات وطلبها .. وهذا هو

منطلق الإسلام في بناء مجتمعه .. يقول الرسول الكريم كما روى البخارى في صحيحه ٢/ ٥٢٤ كتاب الزكاة ومسلم في صحيحه ٢/ ٦٩٩ كتاب الزكاة : « على كل مسلم صدقة قيل: أرأيت إن لم يجد ؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قيل: أرأيت إن لم يستطع ؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير .. قيل: أرأيت إن لم يفعل ؟ قال: يمسك عن الشر فإنه صدقة » .

ومن الحقائق اللافتة للنظر أنه مع كثرة الآيات الكريمات والأحاديث التى جاءت بالدعوة إلى الصدق لم تأت فيها عبارة واحدة تقول للإنسان أطلب الصدقة أو خذها (كتاب الصدقة في الإسلام للدكتور مهدى علام ص ٢١١) .

وليس من العسير أن نفهم موقع العمل الخيري المتميز بين الطاعات التي يحض عليها الإسلام ، ذلك أن العمل الخيري يكتسب هذه الميزة من الثواب على سائر الطاعات الأخرى لأنه يتسم بسمات عديدة منها :

– أنه خالص لوجه الله وابتغاء مرضاته لا ينتظر عائدا من البشر ولاجزاء ولا شكورا .

– أنه صادر عن نفس سخية وروح أبية لا يحركها إلى العمل إلا حب الخير وحب الضعفاء والمساكين والمحتاجين.

– أنه عمل مجرد من هوى النفس وحب الذات والطمع في عاجل الأجر والثواب « بعيدا عن شهوة الشهرة والسمعة » من أجل ذلك يشق علينا أن نجد في القرآن الكريم آية يذكر فيها الإيمان بالله إلا اقترنت بالعمل الصالح الذي يعتبر العمل الخيري جزءا منه.

– والحق أن الأديان كلها ورسالات السماء جميعها تؤكد على أهمية العمل الخيرى في تحقيق الأخوة الإنسانية ودعم مشاعر التعاطف والتعاون والتراحم بين بنى البشر.

– ولذلك أخذ العمل الخيرى صورا متعددة وأشكالا متباينة على مدى العصور .. فقد اتسم العمل الخيرى على مدى قرون عديدة بسمات نوجزها في الآتى:

أولاً : أنـه – أى العمـل الخـيرى– مجالاته محدودة، ونشـاطاته محصـورة في دائرة ضيقة من المسـاعدات للمحتاجين وإطعام الفقراء وتقديم بعض الاعانـات المالية التى يقدمها الموسرون من زكواتهم للفقراء في المناسبات الدينية المعروفة.

ثانيـاً: أن العمـل الخيرى أتخـذ طابعا فرديا بحيث يقوم على مبادرات إنسـانية فردية وليس عملا جماعيا يخضع للتخطيط والتنظيم .

ثالثـاً: أن العمـل الخيرى ظـل إلى عهد قريب يقوم على علاقة مبـاشرة بين المعطي والمعطى إليـه .. مـن خلال نظرة محدودة للغاية .. وفي نطاق ضيق لا يتجاوز مجالات الاطعام والكسـوة والعون المادى المحدود .

رابعـاً: ظـل العمل الخـيري بعيدا عن مفهوم تنميـة المجتمع أو المشـاركة الإيجابية في دائرة التنمية البشرية أو التعاون مع الحكومات بقسط من أعباء التنمية الاجتماعية المتكاملة.

خامسـاً : أن القائمـين على العمل الخيري في فترات تكاد تكـون قريبة بل تكاد تكون ممتدة حتـى الآن – لا يتوافـر لديهـم الحـس المجتمعي أو الإحسـاس الوظيفي بأهميـة العمل الخيري باعتباره رافدا من روافد التنمية البشرية للمجتمع.

إلا أن طبيعـة التطـور الاجتماعـي اسـتحوذت عـلى مجـالات العمـل الخـيري وظهـرت الجمعيات الخيرية أو جمعيات المجتمع المدني أو الجمعيات الأهلية وكلها مسـميات للجمعيات القائمـة بالعمل الخيري .. وبدا للعيـان أن العمل الخيري هو أحد أعمدة بناء المجتمع المعاصرة وعنصر مهم من عناصر تطويره ونهضته وتقدمه..

واتسـع مفهـوم العمل الخيري ليشـمل كل عمل يسـهم في خدمة المجتمـع بأي صورة من الصـور .. وتطـورت أسـاليب العمل الخيري فلـم يعد محصـورا في دائرة الأفراد ومسـاهماتهم الشـخصية للمحتاجين من الأقارب والأرحام والجيران وحدهم، بل أمتد العطاء الإنسـاني إلى آخرين قد يكونون بعيدين عن دائرة الضوء التي يراها هؤلاء الكرماء الأسخياء.

لم يعد العمل الخيري إذن مجرد جهود فردية مبعثرة هنا وهناك، بل صار نشاطا اجتماعيا واعيا يستهدف رعاية (فئة) من فئات المجتمع لها احتياجاتها المتعددة التي لا تستطيع إمكاناتها الذاتية أن تفي بها.

اتسعت دائرة العمل الخيري لتتجاوز نطاق المجتمعات المحلية إلى الدائرة الإقليمية التي ما لبثت أن اتسعت بدورها لتصبح دائرة العمل الخيري ممتدة إلى النطاق العالمي..

– أصبحنا أمام دائرة عالمية للعمل الخيري الذي تنظمه وتخطط له وتنهض بمسئولياته بعض المنظمات المتخصصة في الأمم المتحدة .. مثل منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التى تتصدى لمشكلة نقص الموارد الغذائية في إفريقيا.

وفي الدورة ٣٢ للجنة التنمية الاجتماعية المنعقدة في فبراير ١٩٩٠ بفيينا توصى اللجنة بأن يقوم المجلس الاقتصادي والاجتماعي باعتماد مبادئ الأمم المتحدة لرعاية (كبار السن) .

وتوصى ذات اللجنة بعقد مؤتمر دولي بشأن الشيخوخة .. وجدير بالذكر هنا أن خطط الأمم المتحدة للعمل الدولي في مجال الشيخوخة بدأت عام ١٩٨٢.

ونستطيع أن نذكر هنا أن الجمعية العامة للأمم المتحدة حددت يوم الأول من أكتوبر اليوم الدولي للمسنين في العالم كله.

ومما يجب الإشادة به هنا أن ثمانية عشر مبدأً تم إقرارها من الجمعية العامة للأمم المتحدة لرعاية كبار السن، تكفل في جملتها فرصا متساوية لكبار السن في الحصول على ضرورات الحياة في بيئة متحررة من التمييز، وإساءة المعاملة والتشجيع على اندماج كبار السن في المجتمع أندماجا يحقق لهم ذواتهم .. بغرض إضافة حياة إلى السنوات التى أضيفت على الحياة تشتمل على المجالات الموضوعية وهى الاستقلالية والمشاركة الواعية والانجاز الذاتى والكرامة.

لا يمكن أن ننسى هنا ما تقوم به منظمات دولية أخرى من صور رائعة للعمل الخيرى مثل

منظمة اليونيسيف التى ترعى الطفولة وتستهدف ضمن رسالتها الإنسانية وضع حد لتزايد وفيات الأطفال هناك الوكالة الدولية التى تبادر للمناطق المنكوبة تسبب الزلازل أو الفيضانات، وهناك وكالة غوث للاجئين وجهودها في حماية اللاجئين من ويلات التشرد وقوة الظروف وصعوبة الحياة، جهود تمثل العمل الخيرى في صورته الإنسانية الرائعة على المستوى العالمي.

أولاً : تحديث مجالات العمل الخيري لمواجهة العصر ومتطلباته :

السؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف يتم تحديث العمل الخيري ليواكب التطورات والمستحدثات التي يعيشها عالمنا المعاصر بكل تحدياته ومقتضياته ؟

• إننا بحاجة ماسة إلى تحديث العمل الخيري من خلال الرؤى الموضوعية الآتية :

أولاً: تغير النظرة للعمل الخيري من اقتصاره على الدور الخدمي والخيري الضيق الذي يحكم الأداء حالياً إلى نظرة جديدة تقوم عل اعتبار العمل الخيري شريكا أساسيا في تنمية المجتمع شأنه في ذلك لا يقل عن شأن الدور الحكومي .

ثانياً: تغير الثقافة العامة لدى الجماهير التي لا تزال محدودة في تفاعلها وتفهمها للعمل الخيري وهى النظرة التي لا يتعلمها الفرد منذ الصغر ولا يتدرب عليها وإنما تقوم الآن من خلال الدعوات الإيمانية واستثارة مشاعر العطاء بشكل محدود لا يكفي لبناء ثقافة مجتمعية لنشر الوعي بأهمية العمل الخيري ودوره في حل مشاكل تنموية ومجتمعية قائمة لا تحلها إلا الجهود الخيرية التطوعية .

ثالثاً: تيسير أساليب العمل الخيري وإفساح المجال أمام الراغبين في العمل الخيري بغير معوقات إدارية أو حكومية ، واعتبار العمل الخيري ساحة للمشاركة المجتمعية على نطاق واسع من كل أفراد المجتمع كل حسب إمكاناته وقدراته.. إذ أنه من السلبيات الشائعة أن

ينظر بعض الشباب إلى العمل الخيري باعتباره لا يناسب إلا كبار السن الذين يشعرون بالفراغ في حياتهم ، أو أنهم يحرصون على زيادة رصيدهم من فعل الخير وحسناته التى تنفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون ، هذه النظرات السلبية القائمة الآن لم يعد لها مبرر لاستمرارها في عصر تجتاحه تيارات فكرية عارمة فرضت نفسها علينا، بعد أن ازدحمت حياتنا بالمعلومات والثقافات والاتجاهات وأصبح العقل المعاصر مطالبا في خضم هذه التداخلات بأن يستوعبها ويفندها ويميز الخبيث من الطيب منها، قبل أن يغرق فيها، التحديث الذي ننادى به الآن في مجالات العمل الخيري هو الانتقال به من نظرة ضيقة هى الإحسان إلى المحتاجين إلى التنمية الشاملة للمجتمع لتنمية قدرات المحتاجين إلى العمل والكسب لا مجرد الاقتصار على السؤال وتلقى الإعانات والقعود عن العمل .. العمل الخيري الآن يجب أن يكون تنمية للقدرات، وتوعية للمحتاجين عملا بالمثل الصينى الحكيم أن تعط سمكة لمحتاج جائع، فأنت تؤمن له طعام يومه، أما أن تعلمه الصيد فأنت تؤهله وتمكنه من توفير احتياجاته على الدوام .

العمل الخيري الآن مطالب بأن يكون عملا جماعيا تشارك فيه كل الجمعيات الخيرية بمشاريع تنموية، تقوم على تبرعات أهل العطاء وتخطيط أهل الفكر وتنفيذ المخلصين ودعوة المتطوعين .. إن ما يضمن نجاح مثل هذه المشاريع هو قيامها على المبادرات الإيمانية والإمكانات التي توفرها الزكاة أو الأوقاف وكلاهما ينبوعان لا يقومان على الجبر أو الروتين شأن القطاع الحكومى .. بل على الإيمان الصادق والأنفس السخية والأرواح المنطلقة إلى رضا الله لا تريد جزاءا ولا شكورا من أحد ..

إنها مشاريع لا تنشد الربح المغالى فيه ، ولا تستهدف المصلحة الخاصة ، بل يقوم النجاح فيها على أساس العمل القائم على روح إيمانية صادقة.. فالعمل الخيري بهذا المفهوم هو حق الله تعالى على العباد .

ثانياً: وضع آليات العمل الخيري في المجتمع :

فتح الإسلام مجالات رحبة لعمل الخير بدءا بالزكاة التى هى ركن من أركان الإسلام، إلى جانب الصدقات التى نصت عليها آيات القرآن الكريم ، كذلك استحدث الإسلام بابا للصدقات الجارية التى يدوم ثوابها لفاعليها حتى يوم القيامة وهو ما يسمى بالوقف الخيرى بأنواعه المعروفة في الإسلام حيث قدم للإنسانية نموذجا فريدا من العطاء الإنسانى .

لقد اقتبس الغرب هذا التوجه الإسلامي للعطاء والتكافل من خلال الوقف الإسلامي.. فجائزة نوبل وهى أرفع جائزة عالمية عرفتها الإنسانية قديما وحديثا تقوم على فكرة الوقف الإسلامى في اساسها، وكذلك أوجد الغرب بعض مؤسساته وجامعاته على أساس من فكرة الوقف ..

وفي جمهورية مصر العربية أمثلة متعددة تدل على قيمة الوقف في تحقيق أقصى صور العمل الخيرى ، فعلى سبيل المثال قامت جامعة القاهرة عند إنشائها (باسم جامعة فؤاد الأول) على أساس وقف خيرى ، إذ أوقفت الأميرة فاطمة بنت الخديو إسماعيل باشا ، أرضا ومالا لإنشاء الجامعة ، ولا تزال لوحة رخامية باسمها مثبتة على واجهة كلية الآداب بجامعة القاهرة، يذكرها بالخير كل من يطالع هذه اللوحة أو يدرس بهذه الكلية أو يتخرج فيها .

لذلك فإن تحديث آليات العمل الخيرى يمكن أن تتخذ أشكالاً مستحدثة، نقدم في ما يلى أفكاراً مبتكرة لبعضها :

أولاً: إدخال مفهوم العمل الخيرى في مناهج التعليم منذ المراحل الدراسية الأولى من خلال تفاعل تربوى مع الآيات القرآنية الكريمة التى يدرسها الطلاب ويحفظونها وكذلك الأحاديث الشريفة التى يتعلمونها والمطلوب أن تتحول هذه القيم الدينية إلى سلوكيات عملية من خلال اداء عملى للعمل الخيرى في صوره المتعددة والمتدرجة حسب سنوات العمر والمراحل الدراسية.

ثانيـاً: تدريـب وممارسـة عملية للطلاب عـلى العمل الخيرى الميـداني بدءاً مـن الفصل ثم المدرسة والحى والمدينة والمجتمع..

ثالثـاً: التفاعـل مع الجمعيـات الخيرية في الحى، وطـرح المشروعات الخيريـة بالتعاون بين المدرسـة والجمعيـات الخيرية لإتاحة الفرصة للشـباب للتطوع في مجـالات العمل الخيرى بهذه المشروعات وإكسابهم مهارات وخبرات متنوعة للعمل الخيرى ..

رابعاً: التنسـيق بين نشاطات الجمعية الخيرية على مسـتوى الحى والمدينة والقطر والمجتمع العربى كله لتكامل الأدوات وتنسيق الجهود وتضافر القوى ..

خامسـاً: عقد مؤتمر سـنوى على مسـتوى الوطن العربى تحت رعاية جامعة الدول العربية للاتحـادات النوعيـة للجمعيـات الخيريـة بالوطن العربى لتبـادل الخـبرات والآراء حول طرق تنفيذ المشروعات الخيرية والتنسيق مع أجهزة التخطيط والتنمية وتنمية الموارد البشرية والموارد المالية التى تؤمن احتياجات العمل الخيرى..

سادسـاً: دعوة الجامعات وأسـاتذة التربية خاصة لدراسـة النشـاط التطوعـى من الناحية النفسـية والاجتماعيـة والثقافية وتوجيه السـلوكيات للعمـل التطوعى وتنميتـه والتعرف على القدرات البشرية التطوعية وتنميتها ...

سـابعاً: خلق مجالات التفانى في العمل الخيرى بين الناشـطين المتطوعين ورصد المكافآت السخية للجهود المتميزة..

ثامنـاً: خلـق تصور معاصر لتطوير فكرة الوقف من خلال إصدار سـندات محدودة القيمة (٥٠ درهـم – ١٠٠ درهـم – ٥٠٠ درهم – ١٠٠٠ درهم) على سـبيل المثال لتشـجيع الأفراد عـلى الاكتتـاب في هـذه السـندات، ومن ثـم إقامة المشـاريع الخيريـة من خلال تجميـع أرصدة الوقـف المتعـددة القيمة والتى تتناسـب مع قـدرات الكثيرين مـن الراغبين في اكتسـاب ثواب الصدقة الجارية .. وفي ذلك إحياء لمفهوم الوقف بمعناه المعاصر.

تاسعاً: دراسة تجربة مصر الجديدة ، حيث أقيمت بها مؤسسة للزكاة .. يرأسها المفتى وليست تابعة للحكومة حتى يمكن تجميع الزكوات اختيارياً وإقامة المشاريع الخيرية النافعة للمحتاجين وتوفير فرص العمل الشريفة لكل قادر على العمل.

ثالثاً: استراتيجية الخطاب الإعلامى المناسب:

من البديهيات القول بخطورة الإعلام ودوره الفاعل في إحداث التحولات الهامة في الرأى العام وفي توجيه السلوكيات والتأثير على مجريات الأحداث بالمجتمع.

لقد صار الإعلام جزءاً لا يتجزأ من صميم الحياة اليومية للفرد .. يتلقى المواطن منه المعلومات والأخبار ويستمع ويشاهد من خلاله لكل ما ينعش ذاكرته ووجدانه بعد عناء عمل يومى متصل.

من هنا كان من الصعب إغفال دور الإعلام في التعامل مع قضية العمل الخيرى سواء في تحديث أهدافه، أو التعامل مع مجرياته، أو التأثير في العناصر البشرية التى يقع عليها مسئولية العمل الخيرى تخطيطاً وتنفيذاً ..

وإذا كانت نسبة الأمية في وطننا العربى لا تزال عالية ومقلقة، فإن الوسائل الإعلامية مثل الراديو والتلفزيون والملصقات المصورة، ربما تكون أكثر فاعلية في تأثيرها على السلوكيات وتوجيه الرأى العام.

- ماذا نريده من الإعلام ومن نشاط العلاقات العامة في المجتمع؟

في الواقع يمكن أن يكون للإعلام رسالة قومية ودور وطنى يتمثل في عدة أمور منها على سبيل المثال:

أولاً: تغيير النظرة الحالية للعمل الخيرى على أنه مساعدة مباشرة او غير مباشرة

للمحتاجـين، وذوى الاحتياجـات الخاصـة من خلال تقديم المسـاعدات الماليـة او العينية لهذه الحـالات، وتحويل انظـار واتجاهات الراى العـام إلى المفهوم العصرى للعمـل الخيرى باعتباره ركيـزة وضرورة مـن ضرورات التنميـة الاجتماعيـة، لا يسـتطيع المجتمع أن يتقـدم بدون هذه الأنشـطة الخيرية التى ينهض بهـا العاملون والمهتمون بالعمل الخـيرى .. إن غرس هذا المفهوم الجديـد الـذى يلبـى حاجة العـصر وضرورات العولمـة، سـيؤتى ثمرته بشـكل إيجابى في حث جهـود أفـراد المجتمع كل بحسـب قدراته على الإسـهام الإيجابى في مجال العمل الخيرى سـواء بالتطوع وتحمل مسئولية العمل التنفيذى او بالعطاء حسب الطاقة والقدرة.

ثانياً: حفز همم الشباب خاصة، إلى الإقبال على العمل التطوعى واكتساب مهاراته وتنمية القـدرات الشـبابية على البذل والجهد والعطاء السـخى للآخرين من أفـراد المجتمع المحتاجين لمثل هذه المساعدات، وبازدياد عدد المتطوعين تتسع رقعة العمل الخيرى.

ثالثـاً: التنويـه الإعلامـى وإبـراز الجهـود الناضجـة والتجـارب الخيرية الرشـيدة في كافة مجالاتهـا .. وذلـك لتقديم المثل الطيب والقدوة الحسـنة، وتقدير جهـود العاملين المخلصين في مجالات العمل الخيرى..

رابعاً: متابعة أنشـطة العمل الخيرى بالنقـد الموضوعى، الذى يلقى الضوء على الإيجابيات للإشـادة بها وللمضي فيها، والإشـارة إلى السـلبيات بموضوعية ودراسـة أسـبابها وتشخيص حالاتهـا والبحـث عـن أفضل السـبل لتلافيها والقضـاء عليهـا، وفي ذلك تعزيـز للإيجابيات، وتحجيم للسلبيات في مجالات العمل الخيرى.

خامسـاً: عـرض نماذج ناجحـة وصور مشرفة للعمـل الخيرى في المجتمعـات الأخرى مما يصلـح تطبيقه كقدوه ونمـوذج ومثال يمكن الاحتذاء به، والاسـتفادة من المشروعات الخيرية الناجحة، ومحاولة تطبيقها في ظل الظروف والإمكانات المتوافرة.

سادسـاً: اهتـمام الإعـلام بحمل رسـالة التوعيـة العلميـة، والتحـلى بالـرؤى الاجتماعية

والنفسية الصحيحة، في عرض برامج النشاط الاجتماعى الخيرى وإلقاء الضوء على معوقات العمل الخيرى، سواء من حيث اللوائح الإدارية أو المعوقات البيروقراطية أو التقاليد أو العادات المجتمعية .. أو المظهرية في أداء العمل الخيرى والاهتمام بالشكل دون المضمون ...

سابعاً: أن تشمل أنشطة العلاقات العامة بالوزارات الحكومية والمصالح ومجالات العمل الأخرى برنامجاً إنسانياً يهتم بالعلاقات الإنسانية بين العاملين في مجالات العمل وتقدير المشاعر والإهتمام بكافة المحتاجين، وإرساء مفهوم التضامن الاجتماعى والأخوة الإنسانية والزمالة بين أفراد المجتمع، وإضفاء روح الأخوة والعمل الخيرى بين العاملين، ومشاركتهم في المناسبات المختلفة إثراءً للروح الاجتماعية الطيبة الواجبة.

ثامناً: أن تبتكر الأجهزة الإعلامية المتعددة، الوسائل المتنوعة التى يتميز بها العمل الإعلامى بإمكانياته التقنية العالية والمتطورة، ومن خلال أساليب تشويق وجذب ومتعه مع الإفادة، حتى يسعد المشاهد أو المستمع أو القارئ كل بحسب الوسيلة الإعلامية المناسبة له بثراء الفكر وإنعاش الوجدان من خلال تعميق مفاهيم العمل الخيرى الذى يعتبر رافداً أساسياً من روافد العمل الاجتماعى وعنصراً رئيسياً من عناصر المشاركة المجتمعية في قضية التنمية.

تاسعاً: توعية الجماهير التوعية الدينية الصحيحة بدعوة الدين للعمل الخيرى على أوسع نطاق، باعتباره عملاً إيمانياً في المقام الأول، ينعكس أثره على الفرد والأسرة والمجتمع وتعبئة جهود أفراد المجتمع لمواجهة مشكلات مثل البيئة والجهل والفقر والمرض.

عاشراً: إطلاق طاقات الإبداع والابتكار في مجالات العمل الخيرى فمن اهتمام برعاية كبار السن، إلى اهتمام بعناصر مهمشة في المجتمع كأطفال بلا مأوى او العنف الموجه ضد المرأة في بعض الحالات أو رعاية وكفالة الأيتام او الاهتمام بمجالات الكوارث كالحرائق او الغرق أو الأوبئة او الكوارث الطبيعية.

حـادى عشر: من الممكـن للاعلام إصدار نشرات إعلامية للتوعيـة باهمية التطوع لمشروع ما وضرورة التكاتف الاجتماعى للتعاون على إنجاز مشاريع عمل خيرية في مناسبات متعددة.

ثانـى عشر: مـن الأهمية بمكان إحسـاس العاملين بالإعلام، بالمسـئولية تجاه التفاعل مع العمـل الخـيرى، باعتبار أن الإعلام شريك وليس مجرد ناقل لأنشـطة معينة من أنشـطة العمل الخيرى ..

إن الإعـلام لابد أن يشـعر بأنه مشـارك رئيسـى فاعـل في تنامى مشـاريع العمل الخيرى ، وزيـادة عـدد المتطوعين والناشـطين في مجالات العمل الخـيرى في كل المواقع بـما يفجر طاقات الإبداع ، ويحرك جهود العمل الخيرى على امتداداً رقعة المجتمع بلا حدود.

رابعاً: المرأة و العمل الخيرى- الواقع والمتطلبات:

في ظـل التطورات العالمية الداعية إلى إتاحـة فرص العمل دون تمييز او تفرقة بين المواطنين بسـبب الجنـس او غـيره، أصبحـت المرأة وقـد أتيحت لهـا فرص العمـل تمثل جناحـاً هاماً من جناحى التنمية الشعبية .. مشاركة الرجل في تحمل المسئوليات والأعباء. إلا أنه في مجال العمل الخـيرى تبـدو أهمية مشـاركة المـرأة في هذا العمـل بالذات، قد تفـوق اهمية مشـاركة الرجل في بعـض المجالات، وليسـت جميعها، هنـاك مجالات العمل الخـيرى في مجال الطفولـة والأمومة، تتطلب بصفة أساسـية قدرات المرأة بشـكل أساسـى مما يمنحها فرصة المشـاركة الاجتماعية في العمل الخيرى والتنموى على مستوى المجتمع كله ...

إلا أن جهـود المـرأة لكـى تصـب في هـذه الناحيـة فهـى بحاجـة إلى التزويـد بالتدريـب الاجتماعـى عـلى العمل التطوعي .. وهى بحاجة أيضاً إلى ممارسـة قدر من الخبرات الميدانية في المجـالات التـى تتفـق مـع طبيعتها، وتجـد أنها أقرب إلى نفسـها وشـخصيتها .. هـذا التدريب والتعليـم يسـتهدف إطـلاق طاقـات المرأة الكامنة وشـحذ همتها عـلى العطـاء .. والتنافس مع

الرجـل في مجـال العمل الخيرى باعتباره ضرورة اجتماعية لا غنـى للمجتمع عن جهود المرأة في هذه المجالات الحيوية التنموية ...

• وضماناً لتطوير العمل الخيرى النسائى بشكل أفضل نوصى بإتباع ما يأتى:

أولاً: إتاحـة قـدر مـن التوعية للوالديـن عن أهمية العمـل الخيرى من منظـور ديني الأمر الـذى يرسـخ القناعة بأهمية وجدوى المشـاركة الإيجابية من جانب كل أفـراد الأسرة والأبوين والبنات والأبناء.

ثانياً: تشجيع الفتيات على اكتساب مهارات التطوع منذ الصغر من خلال التوعية المنهجية بالمدارس والأندية والتجمعات والندوات والوسـائل الإعلاميـة المتعددة. مما يمنح الفتاه الثقة بالنفس والاعتزاز بالقدرة على العطاء وخدمة الآخرين.

ثالثاً: عمل المسـابقات ذوات الجوائز لحث الفتيات على التنافس في مجالات العمل الخيرى المناسـبة لهن، وتشـجيعهن على التفوق والمثابرة بشتى طرق التشـجيع الأدبى والمادى، وتكريم المتفوقات منهن حثاً لهن وتشجيعاً لغيرهن.

رابعـاً: العمـل على التواصل بين الفتيات والأمهات لاكتسـاب الخـبرات وضمان التفاعل ولتأكيد معنى الاستمرارية والمشاركة بين الأجيال.

خامسـاً: إتاحة الفرصة للفتيات وللمرأة عموماً للمشـاركة في عضوية ورئاسة الجمعيات الخيرية لتكون هذه المشاركة تدريباً على ممارسة الديموقراطية ودافعاً لغيرهن وتشجيعاً لهن على مزيد من الانتماء والعطاء السخي للعمل التطوعي.

سادسـاً: تشـجيع المهارات النسـائية في المجالات ذات الصلة بطبيعة المرأة مثل التطوع في الإسـعاف للمـرضى وزيارة المستشـفيات للتخفيف عن المرضى وغير ذلك مـن المجالات التى يمكن للمرأة النجاح في أدائها لمناسبتها لطبيعتها.

سابعاً: تبادل الخبرات بين المتطوعات على مستوى الوطن العربى لزيادة التفاعل بين أنشطة المرأة على مستوى الوطن العربى كله واكتساب المهارات والتزود بالتجارب الناجحة والتعرف على حلول للمشكلات البيئية والمجتمعية التى قد تواجهها بعض المتطوعات.

خامساً: دور العمل الخيرى في حشد طاقات التكافل والعطاء:

لقد سبق القول في مطلع هذا البحث أننا الآن نمر بمرحلة دقيقة يشهد فيها العالم تيارات فكرية متضاربة، وصراعات ملتهبة، ومحاولات العولمة طمس الهويات الثقافية وفرض هيمنة ثقافة معينة ...

لذلك فإن العمل الخيرى لارتباطه الوثيق بالدين الإسلامى، قد واجه في السنوات الأخيرة من بعض القوى العالمية بعض القيود والضغوط غير المبررة .. لكن قافلة الخير تنطلق إلى غايتها الشريفة المأمولة لتحقيق مقاصدها الإنسانية ،وذلك بفضل جهود عظيمة لقيادات وزعامات إسلامية واعية تدرك أهمية العمل الخيرى في بناء الأمة الإسلامية ..

وهنا لا نستطيع أن ننسى رواد العمل الخيرى العظيم وقادته ، ولذلك فإن علينا أن نشيد بكل تقدير واعتزاز بدولة الإمارات العربية المتحدة ، وقياداتها المؤمنة ، ومؤسساتها الخيرية ذات المكانة السامقة في أعمال الخير التى يستفيد منها المسلمون سواء داخل الدولة و خارجها على امتداد ربوع العالم الإسلامى .. فكلها جهود عظيمة تذكر بالتقدير والعرفان ، إذ أنها في الحقيقة تضرب الأمثال على سماحة النفس ، وعلو الهمة ، وبعد النظر ، ورقة المشاعر الإنسانية نحو عموم المسلمين وعموم الناس ، والحرص على الانطلاق بتجارب العمل الخيرى إلى آفاق رحبة ومجالات متعددة كالتعليم والصحة ورعاية الأيتام ودور العجزة وكفالة الأرامل وغير ذلك من مشاريع الخير ....

مـن خـلال التجـارب الإماراتيـة الناجحة فإننـى أتقدم بعدد مـن المقترحـات التى أرى - وأرجـو أن أكـون مصيباً - أنها تحقق دفعة كبرى لدور العمل الخيرى في حشـد طاقات التكافل الإجتماعـى والعطـاء الإنسـانى ليكون العمل الخـيرى ريادة وإثـراء، للريادة والنـماء، من هذه المقترحات ما يلى:

أولاً: تأصيـل العمـل الخيرى في المجتمع الإسـلامى بإعتبـاره عنصراً رئيسـياً من عنا صر الشـخصية الإسـلامية للأمة وركيزة من أهم ركائزها الحضارية، التى يجب التمسك والإعتزاز بهـا وعـدم التفريط فيها في عـصر العولمة الذى يحاول فرض هيمنته وسـطوته على ثوابت الأمم وتراثها الحضارى.

ثانيـاً: تنشـيط بـاب الإجتهـاد في الفقه الإسـلامى من خـلال فقه المسـتجدات للبحث في قضايـا الزكاة والوقـف الراهنة، وفي ضوء الظروف المعاصرة والتوفيق بين ضرورة الصرف من الـزكاه عـلى الفور، والحاجة إلى تجميعهـا، والتخطيط للصرف منها على أوجه الخير، ومشـاريع التنمية في مراحل لاحقة .. وأهمية دراسة الفقهاء لمثل هذه الحالات والتوصل إلى حل وتأصيل شرعى لها.

ثالثـاً: دعـوة الفقهاء إلى النظـر في أمر الأوقاف العامة والخاصة التى يباح إسـتثمارها عملاً عـلى زيـادة النفع منها في رأى بعـض العلماء، والأمر يتطلـب إجتهاداً جماعيـاً للوصول إلى آراء رشيدة وسديدة منعاً للخلافات وتجنباً لبلبلة الرأى العام في هذه المسائل.

رابعاً: التنويه بالسـيدات الفاضـلات الكريمات المتبرعات والمتطوعـات بصورة كريمة في تاريخنا الإسـلامى مثل بعض زوجات الرسـول (عليه الصلاة والسـلام) وزبيدة زوجة هارون الرشـيد وغيرهن كثيرات، وذلك حتى نشـجع الكثير من السيدات في عصرنا على الاقتداء بهن في العطاء والسخاء والبذل والعمل الخيرى.

خامسـاً: تكويـن اتحـاد عربـى أو اتحـاد إسـلامى للجمعيات الخيريـة على مسـتوى العالم

الإسـلامى كله، لتنسيق الجهود وحسـن الاسـتفادة مـن الإمكانـات المتاحة في دعـم ورعاية، وإعانـة المحتاجـين على مسـتوى العالم الإسـلامى في مناطـق الكـوارث او الأقليات المسـلمة المحتاجـة .. وذلـك لتحقيـق أفضل النتائـج وتلافيـاً للازدواجية أو تكـراراً للجهـود وتبديداً وإهداراً للطاقات.

سادسـاً: التعاون مع المنظمات الدولية العاملة في مجال العمل الخيرى (اليونيسـف - الفاو - وكالـة الإغاثـة - وكالـة شـئون اللاجئين وغيرهـا ..) للتعرف عـلى جهودها في مجـال الإغاثة، والتنسـيق معها والاسـتفادة من خبراتها الميدانية المكتسـبة في مجال العمل الخيرى على مسـتوى العالم.

سابعاً: التعاون الإعلامى في مجال الدعوة لنظرة جديدة للعمل الخيرى، والبعد عن النظرة التقليدية باعتبار العمل الخيرى قاصرا على سـد حاجات الاسـتجداء الفردية، وتحسـين النظرة عـلى اعتبـار العمـل الخـيرى الـذى أصبح عنـصراً إيجابيـاً ومشـاركاً رئيسـياً في عمليـة التنمية المجتمعية الشاملة لمواجهة مشكلات البيئة والفقر والجهل والمرض.

ثامنـاً: تحديـد العلاقـة بـين حرية العمـل الخـيرى والضوابـط الحكومية بحيـث لا تكون اللوائـح الحكوميـة عائقـاً يحد مـن انطلاق العمـل الخيرى ويؤخر نشـاطاته عن بلـوغ أهدافها الإنسانية النبيلة.

تاسـعاً: مد مظلة العمل الخيرى الإسـلامى إلى المسـلمين في البلاد غير الإسلامية في العالم عـلى أن يتناسـب العمل الخـيرى في هذه المناطـق مع الاحتياجـات الفعلية لهؤلاء المسـلمين مما يحفظ عليهم دينهم، ويوفر لهم المدارس الإسـلامية التى تصون لهم هويتهم وتراثهم الإسلامى الحضارى في هذه البلاد.

عـاشراً: دعوة أجهزة الإعلام العربية والإسـلامية لنشرها أخبـار العمل الخيرى ومجالاته واحتياجاتـه على مسـتوى الأمـة الإسـلامية كلها لتحقيـق الترابـط والتفاعل والاسـتفادة من الخبرات الناجحة على مستوى العالم الإسلامى.

حادى عشر: الاهتمام بقطاعى الشباب والمرأة في غرس روح التطوع والعمل الخيرى باعتبارهما قطاعين هامين يجب ارتكاز العمل الخيرى عليهما في سائر أقطار الأمة الإسلامية، وبناء قدرات المتطوعين عن طريق تنمية مهاراتهم وقدراتهم من خلال برامج تدريبية متخصصة.

ثانى عشر: الأخذ بنظام التدريب المستمر للعاملين في مجال العمل الخيرى لترقية مهاراتهم وتنمية قدراتهم وضبط سلوكياتهم وتحسين أدائهم.

ثالث عشر: إنشاء مركز معلومات على مستوى العالم الإسلامى تسجل فيه جميع البيانات الخاصة بمؤسسات وجمعيات العمل الخيرى، لتبادل المعلومات والاستفادة من الخبرات والتنسيق بين الإمكانات ، وذلك حرصا على أن تتسم هذه الجمعيات والمؤسسات الخيرية بالشفافية في مواردها ومصارفها وإعلان ذلك للكافة حتى لا يحدث فساد تحت عباءة العمل الخيرى والغطاء الدينى .

رابع عشر: اعتبار العمل الخيرى فريضة حتمية وأمراً دينياً واجباً يتجاوز الإحسان والمروءة وينطلق من أصول الإسلام الحنيف.

إن المرحلة الراهنة من تطور الأمة الإسلامية ستشهد - بإذن الله - تطوراً إيجابياً، وحراكاً إنسانياً، وصحوة إسلامية، تملأ القلوب بالأمل في حاضر مشرق وغد أكثر إشراقاً وعطاء يجعل من شعار هذا المؤتمر الناجح حقيقة ملموسة وواقعاً نعيشه جميعاً ليكون العمل الخيرى زيادة ونماء ..

أتمنى للمؤتمر كل التوفيق والنجاح ليكون بحق ريادة للعمل الخيرى ونماءً وعطاءً بلا حدود.

***

